

المصالحة والعفو

الأستاذ محمد بلقاسم بوعلاتي

إمام بولاية ورقلة

البدر دونك في حسن وفي شرف
والبحر دونك في خير وفي كرم
أخوك عيسى دعا ميتا فقام له
وأنت أحييت أجيالا من العدم
فاللهم صل وسلم وأنعم وبارك على
هذا النبي الكريم والرسول السيد السند
العظيم، وعلى أله وأصحابه أتم الصلاة
وأزكى التسليم.

أما بعد: عباد الله إن النصيحة للمسلمين
قد تواترت بها الأخبار، وإن الوصية على
سنن المتقدمين قد تواترت بها الآثار،
فرب غافل ينبهه واعظ ورب راقد يقضه
بالوصية لافظ، والوصية غيمة العاقل،
والموعظة تجارة الغافل، فأوصيكم وأياي
بتقوى الله أبدا وأن ينهض كل منا لطاعته
مجتهدا، هذا واعلموا معاشر المسلمين أن
الله عز وجل اقتضت حكمته وشاءت
إرادته أن يجعل قوة المسلمين في وحدة

الحمد لله الذي ابتداء الإنسان بنعمته
قبل سؤالها، وحضه على تقييدها بالشكر
حذرا من زوالها، فقال (لئن شكرتم
لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)،
أحمدته تعالى وهو بالحمد جدير، وأشكره
جل وعلا وهو نعم المولى ونعم النصير،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له الموجود فضله وثوابه والمخوف مكره
وعقابه، وسع كل شيء رحمة وعلما،
وعم العوالم كلها جودا وكرما وحلما،
هدانا لطاعته ووعدنا من فضله بجنته:

يا من له علم الغيوب ووضفه

ستر العيوب وكل ذلك سماح

أخفيت ذنب التكرم والتفضل

والرضا أنت الإله المنعم الفتاح

ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله

وصفيه من بين خلقه وحبيبه، قطب

الواصلين ومنار السالكين:

صفهم وتماسك لحمتهم فنهاهم بذلك عن كل ما من شأنه أن يفرق جماعتهم أو يذهب ريحهم فقال عز من قائل: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَنَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّادِرِينَ﴾ الأنفال: ٤٦، وحشهم في المقابل على كل عمل من شأنه أن يصون هذه الوحدة أو ينميها، فندبهم إلى إشاعة فضائل المحبة والألفة وتعزيز الروابط وشد الصلات والوشائج بينهم من خلال نشر ثقافة الصلح والعفو في المجتمع.

إن عناية الإسلام بهذا الجانب المشرق من جوانب الإصلاح والعفو كانت عناية منقطعة النظير ولا ينكرها إلا جاحد، فلو تأملنا آيات الذكر الحكيم لوجدناها طافحة بالعبارات الصريحة والإشارات الواضحة الدالة على تبني الكتاب الكريم لهذه المعاني، فقد ندب الله عز وجل نبيه ﷺ إلى الصلح والعفو بقوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ الحجر: ٨٥، وقيل فيه هو الرضا بلا عتب، واعف عفوا حسنا وقال أيضا: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف: ١٩٩، يقول الإمام القرطبي: خذ العفو دخل

فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين، وقال أيضا في قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران: ١٣٤، قال: العفو عن الناس أحد ضروب فعل الخير، وقال تعالى: ﴿وَحَزْرًا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ الشورى: ٤٠، قال ابن عباس من ترك القصاص وأصلح بينه وبين الظالم بالعفو فأجره على الله، وقال مقاتل فكان العفو من الأعمال الصالحة، وقال عز من قائل: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ النساء: ١٢٨، يقول الإمام القرطبي: الصلح خير لفظ عام مطلق، يقتضي بأن الصلح الحقيقي هو الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف على الإطلاق.

وخير: أي خير من التفرقة فإن التماذي على الخلاف والشحناء والمباغظة هي قواعد الشر.

وفي السنة النبوية المطهرة فإن النصوص الواردة كثيرة كثرة الأفعال المعصدة لها من ذلك ما روي عن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) وما روي

﴿ فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي
فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ
الَّذِيبُ الْفَتِيرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾
مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا
كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ الروم: ٣٠ -

٣٢ فدين الفطرة لم يرض لهذا الانتماء
إلى الجماعة أن يظل مجرد إحساس باطني
لا تظهر آثاره في الأعمال ولا تبرز نتيجته
إلى الحياة وإنما يطلب من المؤمن أن يحوله
إلى سلوك نافع لأتمته ومجتمعه وإلى طاقات
محركة للجماعة، مساندة لها تدفعها
لبلوغ الأهداف، في صورة تعاون الأفراد
على جلب المنافع ودفع المضار، والارتقاء
بالحياة، وبقدر ما كانت دعوة الإسلام
إلى التضامن والتعاون بقدر ما كان نهيه
عن التفرق والتنازع والتشردم، وتشيت
الجهود ومعاكسة بعضها لبعض مع بيان
النتيجة المترتبة على ذلك بتعرض الأمة
لتطاول الأعداء عليها وكذا يكون أبناء
الأمة في ظل الجماعة المسلمة كل منهم
حارس أمين في موضعه يبذل الجهد في
سبيل كفايته وكفالة جماعته.

فقد بات واضحاً أن من أخطر من ما

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا
كان يوم القيامة نادى مناد من كان أجره
على الله فليدخل الجنة، فيقال من ذا الذي
أجره على الله؟ فيقوم العافون عن الناس
فيدخلون الجنة بغير حساب) كذلك ما
رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول
الله ﷺ ألا أخبركم بأفضل من درجة
الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى
قال: (إصلاح ذات البين فإن فساد ذات
البين هي الحالقة).

فالإصلاح والتوفيق بين الناس فريضة
شرعية مأمور بها ومرغب فيها، مندرجة
ضمن فروع الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر، لما يعود به من نفع على عموم الأمة
وأفرادها، فهو مجلبة للأمن والاستقرار،
مدعاة للألفة والمحبة وعنوان الوحدة
وتماسك الصفوف، وتجسيد لصدق
الأخوة كما يراها الإسلام، فالانتماء إلى
الجماعة شعور فطري نبيل، أيده الدين
ووجهه الوجهة الصالحة للفرد والجماعة
وجعل الشذوذ عن الجماعة شذوذاً إلى
النار، وطبيعة الجماعة المؤمنة أن تكون
عاملة في سبيل رفعة حياتها وإعلاء كلمة
ربها وإظهار دينه وتلك هي رسالتها المتفقة
مع فطرتها التي فطرها الله عليها قال تعالى:

تبعاتها فالروح التعاونية القائمة على الحلم والصفح وكظم الغيظ هي القادرة بعون الله على أن تصنع شخصية المسلم المنتصرة على الأنانية والفردية، إنها الفجر الجديد الذي ترقبه الإنسانية عموماً والشعب الجزائري - خصوصاً هذه الأيام - ليعيد لها فجرها التليد، ويجدد العهد مع التنمية والاستقرار.

إن المصالحة هي تصعيد كل عمل من الأعمال الفردية إلى جماعية واجتماعية، ليعيش الإنسان في يقظة وجدانية حية قوية، وفي يقظة حسية متطورة شاملة وبذلك تتسم أعماله بالخير والخلق العظيم والسمو والجمال والكمال، فهل لأمتنا أن تقبل على حاضرها فتبنيه بروح الإسلام وهل لكل فرد أن يساهم في العمل على رفع هذا البناء حتى يبلغ مرتقاه.

وكما قال الشاعر :

فإن ترغبوا في الصلح فالصلح صالح
وإن يجنحوا للسلم فالسلم أسلم

وكما قال آخر :

ولو تابعوا قول الإله وأمره

وقالوا بأن الصلح للخلق أصلح

يواجه الأمم والشعوب ويهدد مصيرها، أن تتسرب روح الاختلاف والتناحر إلى أفرادها، ويعيش كل واحد منهم مشخناً بجراح الأحقاد والضغائن التي تثقل كاهل جسمه، وتقض مضجعه، وتورق جفنيه، وتبتلك الفرقة والتطاحن تصاب الشعوب بتفكك روابطها الاجتماعية وتخاذل قواها البنائية والدفاعية، وتآكل بناها التحتية، ولئلا يصاب المجتمع الإسلامي بهزات داخلية وخارجية كانت مهمة المسلم، التعاون مع إخوانه في الحياة باستفراغ الجهد وبذل الوسع ما أمكن، من أجل ردم هوة الخلاف واجتثاث منابت الفرقة والاختلاف، ودك معاقل الفتنة وطمس معالم الشقاق والنزاع بإفشاء روح التسامح والإخاء، والحلم والعفو الإغضاء، مستتيراً في ذلك بهدي سيد الأنبياء حين وقف أمامه فحول الكفر يوم فتح مكة مطرقة أعناقها خاضعة ذليلة ورغم ذلك قال اذهبوا فأنتم الطلقاء، بل ورأى هبار بن الأسود مسقط جنين ابنته زينب هارباً منه فقال إلى أين يا هبار فقال فراراً منك يا محمد قال أرجع فقد عفوت عنك، وغيرها كثير. بهذا يكون المسلم جديراً بالحياة ذاتها وكفوئاً لتحمل

ديننا والمتوافق مع مقاصده السامية وقيمه
الراقية فاللهم وفقنا للخيرات وألهمنا
مرشد أمورنا.

فيا أيتها النفوس المتعاونة والمتصالحة
إنكم أنتم وحدكم على الحق وبكم
وحدكم تسعد الحياة ويستقر هذا الوطن
وتدفع عجلة التنمية من خلال ميثاق
السلم والمصالحة الوطنية النابع من صميم

